

Arabe
1er prix – Elrayah Abdelgadir Mohamed Osman

**كلماتي بصماتي:
عدوى الكلمات الرنانة**

قبل وقتٍ ليس بالطويل، حُملتُ حملاً على إدراك واحدة من سخافاتي والتعامل معها، ألا وهي أنني أفرط في استخدام كلمة "اجترار". فأنا استخدمها أكثر مما ينبغي لعاقلي أن يفعل. ولو كان للسان عدّاداً، لضُبطتُ وأنا أكرر كلمة اجترار خمس مرات كل يوم. لا يملكني الفخر حيال ذلك. أود لو كنت شخصاً يتكلم مباشرة عن تكرار الأشياء، أو استنساخها، أو صنع نماذج مماثلة لها، بدلاً من كوني شخصاً يذرع الأمكنة جيئةً وذهاباً وهو يجتر: هذا اجترار، هذا اجترار. لكن، للأسف، لا يُصلح العطار ما أفسد الدهر. لقد اكتشفتُ إصابتي بمرض الاجترار بطريقة صاعقة فاقعة. كنتُ قد التحقتُ للتو بوظيفةٍ جديدة. وفي ذات يوم، بعد مرور بضعة أسابيع على توظيفي، لاحظتُ أنّ ثلاثة من زملائي الذين أتعامل معهم بكثير كل واحد منهم من استخدام كلمة اجترار. وكان ثالثٌ هؤلاء زملاء امرأةٍ أعرّفاها قبل التحاقني بالوظيفة الجديدة. وحين سمعتهُ تنطق تلك الكلمة، استوقفتُها ولما تكمل جملتها وقلت لها: "مهلاً، هل قلتُ للتو" اجترار؟" لماذا تستخدمون كلكم هذا الكلمة هنا؟" أظنُّ أنّهُ لو هوت جميع مجلدات لسان العرب على رأسي دفعة واحدة لكان ذلك أهون عليّ من صاعق جوابها. فقد قالت لي: "تلك واحدة من كلماتك المفضلة. ينبغي أن تكون فخوراً بذلك."

بعد محاولات إنكار يائسة، وبعض الأخذ والرد مع النفس، عدتُ من العمل إلى البيت وسألتُ زوجتي إن كان ثمة كلمات غريبة، خاصةً بي، استخدمها كثيراً. فأجابت زوجتي بلا تردد: "هل تقصد كلمات مثل اجترار؟". ثم استرسلتُ وكأنّ قربةً انبجست فاندلق ماؤها: "كذا كان مدى أي وإلى كذا يمكن مدى أي إلى: تتساءل تفك لا وأنت. عتيق كلمة وكذلك أوه، إماماً كلمة تكرر ها تفتو لا التي الكلمات من" واستمر تدفق السيل. فاتضح لي أنّ لديّ لفظةً حميمة مع المفارقات التاريخية وولعاً خاصاً بكلمة إمام. وقبل أن أعود إلى العمل في اليوم التالي، كنتُ قد قُبلتُ على مضمض حقيقةً أنني أفرط في استخدام حفنة من الكلمات الحوشية، وأنّ جميع من حولي يعلمون ذلك. لكنني لاحظتُ أيضاً تحولاً في الطريقة التي أتكلّم بها مع زملائي في المكتب. فمع ميلي المعهود على تتبيل حديثي بكلمات مثل عتيق، وعبارات مثل إلى أي مدى، بدأتُ أتحاشى، بحرص، استخدام كلمة اجترار. كانت تلك هي كلمتي الخاصة، وإن لم أكن أعني ذلك حتى يوم أمس. وها هي الآن باتت كلمة يجترها الجميع. وما حدا بي إلى استخدام هذا المصطلح، الذي يبدو اليوم أنه صار ملكاً لي، هو أنني لم أكن أريد أن أظهر كمجرد مقلدٍ.

[.....]

لكنني لن أصبح أيضاً مثل أولئك الأشخاص الذي تراهم تارةً هنا وتارةً هناك ليسرقوا كلمات مسجلة بأسماء أشخاص آخرين. يا لكسلهم إيا لغوار أصالتهم إيا لافتقارهم إلى الإبداع! لكن - ويا للعار العظيم -! هأنذا، بعد أربع ثوان فقط من خطبتي العصماء في النهي عن سرقة كلمات الآخرين، أتذكرُ الآن أنني، في ذات مرة، اقترفتُ نفس الجُرم الذي لشدما أثار حنفي حين وقع لي في المكتب. أجل، اجترحتُ ذلك الإثم قبل بضعة أشهر. يستخدم أحد أصدقائي المقربين كلمة مهول كثيراً في رسائله الإلكترونية. فإذا أرسلتُ إليه رابطاً للقطعة الرياضية بارعة، أو لمشهدٍ فيديوي أجوف بصور معزةٍ تلقى خطبةً عصماء بلغة المعز، فسرعان ما يجيبني رده وجيزاً: "شيء مهول"! أو ربما أرسل إليّ مقالةً مشفوعةً بتعليق يقول فيه: "مقالة مهولة". كان ذلك ملائماً له. ملائماً له تماماً. ولكنني، بإفلاتٍ تام من الحساب والعقاب، اختلستُ منه تلك الكلمة، بدون أن أدري.

لم أدرك أمر اختلاسي إلا في شهر تموز/يوليه الماضي حين ردّت إحدى الصديقات على رسالةٍ من رسائلي إليها بالثناء على طريقتي الاستثنائية في انتقاء الكلمات. وكتبتُ صديقتي: "كما أنك استخدمت كلمة مهول استخداماً بليغاً". لقد تطلّب الأمرُ أن أقوم بجرد صندوق الصادر في بريدي الإلكتروني، فأكدتُ عملية الفحص التي أجريتها أن تلك الكلمة باتت منتشرةً كالفاطر في ثنايا ما أرسلته من رسائل. وأردفتُ صديقتي قائلةً قبيل ختام رسالتها: "يا لها من كلمة فريدة من قاموس الزمن الجميل! هيا لنحييها من جديد!"